

القصة في القرآن الكريم .

مصطلح القصة لم يكن معروفا في الزمن الأول، وإنما كان معروفا باسم قصص القرآن الكريم

الفرع الأول: القصص القرآني لغة واصطلاحاً

أ- القصة لغة: " من القص ، فعل القاص إذا قصَّ القِصَصَ ، والقصة معروفة ويقال : في رأسه قصة ، يعني الجملة من الكلام ، مثل قوله تعالى : { نَحْنُ نُقْصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ } (1) سُورَةُ يُوسُفَ : الآية 3 . ، أي : بينت لك أحسن التبيان ... ويقال : قصصت الشيء ، إذا تتبعته أثره شيئاً بعد شيء ومنه قوله تعالى : { وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ } (2) سُورَةُ الْقَصَصِ : الآية 11 . ، أي : اتبعي أثره ، وقد يأتي القصُّ والقصصُ والقِصَصُ الصدر من كل شيء ، وقيل : هو وسطه " (1)

والقصة الخبر ، وهو القِصَصُ ، وقصَّ عليَّ خبره يُقْصِه قصاً وقصصاً ، والقِصَصُ الخبر المقصوص ، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه ، والقِصَصُ بكسر القاف جمع القصة التي تكتب ، وتقصص الخبر تتبعه والقصة الأمر والحديث ، واقتصصت الحديث رويته على وجه ، كأنه يتتبع معانيها وألفاظها ، ويقال : خرج فلان قصصاً في أثر فلان وقصاً ، وذلك إذا اقتصَّ أثره (2) .

ب- القصة اصطلاحاً: للقصة تعاريف كثيرة ، ومنها :

1. ما ذكره الرازي بأنها " مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب

النجاة" (3)

فالقرآن الكريم أطلق لفظ القِصَص على ما حدث من أخبار القرون الأولى في مجالات الرسائل السهوية ، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال وبين مواكب النور وجحافل الظلام (4)

(1) أساس البلاغة . الرَّحْمَنِيُّ . : ص 770 - 771 . لسان العرب : ابن منظور . : مادة (قصص) 7 / 73 - 75

(2) ينظر لِسَانَ الْعَرَبِ : مادة (قصص) 7 / 74 .

(3) مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير : 8 / 83 - 84 .

(4) ينظر القِصَصُ الْقُرْآنِي فِي مَنْظُومِهِ وَمَفْهُومِهِ . عبد الكريم الخطيب . بيروت ، لبنان . (د . ت) . : ص 40

2. وقيل: "هي كشف عن آثار وتنقيب عن أحداث نسيها الناس أو غفلوا عنها، وغاية ما يراد لهذا الكشف هو إعادة عرضها من جديد لتذكير الناس بها، ليكون لهم منها عبرة وموعظة"⁽⁵⁾.

3. وقال ابن عثيمين: "الإخبار عن قضية ذات مراحل يتبع بعضها بعضاً"⁽⁶⁾

الفرع الثاني: أهمية دراسة القصص القرآني:

- 1- معرفة الغيب النسبي الذي أطلعنا الله تعالى عليه.
- 2- معرفة جانب مهم من جوانب تاريخ البشر معرفة صحيحة سليمة.
- 3- غلق الباب أمام الأساطير والخرافات المعلقة بأعظم جانب من جوانب الرسل والرسالات الربانية.
- 4- الوقوف على السنن الكونية للأفراد والمجتمعات.
- 5- التيقن من مصير العباد والأمم والحضارات.
- 6- معرفة منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله.
- 7- الاطلاع على أهم الأساليب التربوية، والدعوة، والعلمية.
- لأن ربع آيات القرآن متعلق بالقصص القرآني.
- 8- دراسة تاريخ الرسل مع أقوامهم ولأدل على هذا أن أسماء السور بأسماء بعض الرسل [يونس، هود، يوسف، نوح، إبراهيم، [والأقوام] قريش]

الفرع الثالث: خصائص القصص القرآني

- 1- أنها وحي من الله تبارك وتعالى قال سبحانه. قال تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ إِذَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) وقال تعالى: (ذلك من أنباء القرى نقصه عليك)، وقال تعالى معقبا على سورة مريم (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ).
- قال تعالى: (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ).

(5) المصدر نفسه: ص 48.

(6) أصول في التفسير، ص: 57.

- 2- غرضها ديني قال تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ)
- 3- بيانها وتجليتها لمقاصد القرآن الكريم.
- 4- القصة القرآنية حقيقية في وقوعها وصادقة في خبرها فليست خيالاً ولا كذباً.
- (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا) ، وقال تعالى (إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) وقال تعالى (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا)
- (مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) قال تعالى: يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ { [الأنعام: 57]
- 5- القصة في القرآن تأتي متفقة مع موضوع أو موضوعات السورة فهي جزء من المقصد العام لها.
- 6- القرآن كتاب دعوة وليس كتاب تاريخ حتى تأتي القصة في جملة واحدة .
- 7- أغنى الله تعالى بها المعارف الإنسانية في جل جوانبها] التاريخية، الجغرافية، السياسية، الاقتصادية... في النواحي النفسية]
- 8- عدم الاستغراق في القصة بما يزيد عن الحاجة .
- 9- شمولية القصص القرآني لرسم معالم الحياة الصالحة في جانبها الديني أو السياسي أو الاجتماعي أو النفسي أو التاريخي .
- 10- صلاحيتها للاستشهاد بها في كل زمان ومكان .
- 11- التكرار في بعض القصص القرآني.
- 12- مقاصدها وغايتها تدرج ضمن مقاصد وغايات القرآن الكريم.
- 13- القصص القرآني يعد من قبيل الغيب الذي أطلع الله عليه النبي صلى الله عليه وسلم والإنسانية جمعاء .
- 14- أن أسلوب القرآن في تكرار القصة أكثر من مرة ، لا يصاحبه أي تفاوت في بلاغة عرضها

الفرع الرابع أهداف القصص القرآني :مقاصد ،غايات]

القصص القرآني ليس مسوقاً لذاته، بل لأجل غايات وأهداف كثيرة يمكن إدراكها بالتفكير والتأمل في القصص؛ لقوله تعالى: {فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (الأعراف/ 176) .

ومن هذه الأهداف:

- **إثبات الوحي والرسالة** ، وأن محمد رسول الله يبلغ رسالة ربه ، والقرآن ينص على هذا الغرض نصاً في مقدمات بعض القصص أو في أواخرها فقد جاء في أول سورة يوسف : (**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ، نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ**) [يوسف : 2 و3] وجاء في سورة هود بعد قصة نوح : (**تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوْحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا**) [هود : 49]
 - **الاستدلال على التوحيد**، وهو من أهم أهداف القصص القرآني، كما في قصص إبراهيم مع قومه، ونوح مع قومه، وموسى مع فرعون... إلخ.
 - **تثبيت الرسول والمؤمنين على الحق الذي يدعون إليه** رغم ما يلقونه من مشقة ويتكبدونه من تضحيات، قال تعالى: { **وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ** } (هود/ 120) .
 - **الحكم والفصل في مواضع الاختلاف والتضارب في قصص التوراة والإنجيل**، قال تعالى: { **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** } (النمل/ 76) ، ولعل هذا الهدف الذي حدده القرآن لقصصه أبلغ رد وأوقع دليل على تهافت دعوى الجدليات التنصيرية بأن القرآن تكرر للقصص في التوراة والإنجيل؛ لأنه يتضمن التفسير المقتنع لمواضع التشابه بين القصص القرآني وقصص الكتب السابقة، فما جاءت به الكتب السابقة في مقام ادعاء المدعي، أما قصص القرآن فهو حقيقة الحدث الذي جرى يحكيه القاضي الفاصل في دعوى المدعي، مبيناً به وجه الخطأ والصواب في مزاعم الادعاء ومقرراً الحقيقة التاريخية في الحدث لكل العالمين.
 - **العظة والاعتبار**، قال تعالى: { **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ** } (يوسف: 111) ، ويمكن القول إن معظم قصص القرآن يُقصد به العظة والاعتبار من باب: إما قياس الطرد وإما قياس العكس، فما يحيق بالمشركين وبمخالفي الرسل هو جزء كل من جاء بمثل فعلهم، أما من جاء بعكس فعلهم فله عكس جزائهم.
- ولذلك حينما يورد القرآن قصص الفساد الأخلاقي لدى الأمم السابقة، يقرن ذلك بما تلاه من جزاء ومصير ناله المفسدون، ويصدّر ذلك بطلب النظر والتأمل في التلازم بين الذنب والعقاب للاعتبار

والتخويف. يقول تعالى عقب قصة قوم لوط: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْرًا فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ} (الأعراف/ 84).

ويعقب القرآن على قصة ثمود بالترهيب من جزاء من يفعل السيئات مثلهم، وبالترغيب في ثواب من آمن واتقى من قوم صالح. قال تعالى: {فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ فَبَلَكَ بُيُوتَهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} (النمل/ 51-53).

● **الحجة والإقناع**، وذلك بإيراد القصة المناسبة للموقف بما تتضمنه من حوار تبرز فيه دعاوى المخالفين القدامى ضد أنبيائهم، ثم تأتي ردود الأنبياء الإقناعية وكأنها ردود من النبي محمد صلى الله عليه وسلم على قومه أو ردود من كل داعية إلى الإسلام على مخالفه في كل زمان ومكان، من ذلك مثلا الحوار الذي جرى بين نوح وقومه. قال تعالى: {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} (هود/ 31).

● **إظهار قدرة الله المطلقة**، وذلك في باب الخلق من عدم كقصة خلق آدم، أو الخلق من أم بلا أب كقصة مريم وابنها المسيح عيسى، أو إثبات القدرة على إحياء الموتى كقصة إبراهيم مع الطير، أو البعث والنشور كقصة الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه.

● **شد لأزر المؤمنين ، وتسليتهم عما يلاقون من الهموم والمصائب** ، وتثبيت لرسول الله ومن تبعه من أمته ، وتأثير في نفوس من يدعوهم القرآن إلى الإيمان وأنهم إن لم يؤمنوا لا محالة هالكون ، وموعظة وذكرى للمؤمنين ، وقد صرح القرآن بهذا المعنى في قوله تعالى (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) [هود : 120] .

وجاء في سورة العنكبوت لمحة خاطفة عن قصة كل نبي ، مختومة بالعذاب الذي عذب به المذنبون من قومه حتى ختمت جميع القصص المجملة بقوله تعالى : (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) [العنكبوت : 40] فعلى المرابي أن يستحضر مكان الموعظة والذكرى من كل قصة ، ليحاور الطلاب حوارًا يوجههم إلى معرفتها والتأثر بها والعمل بمقتضاها .

- إخبار الناس جميعاً عن جهود الأنبياء والرسل في سبيل نشر دعوتهم، وصراعهم مع أقوامهم، ومجادلاتهم ومناقشاتهم السديدة المتنوعة لإظهار الحق وإبطال الباطل، ومدى استجابة أقوامهم لهم وإعراضهم عنهم، وتسليية لنبياً صلى الله عليه وسلم عما كان يؤلمه من صدود الناس عن الإيمان برسالته، كما قال تعالى: **وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ، وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** [هود 11 / 120].

- إثبات إعجاز القرآن الكريم
- إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم
- بيان معرفة منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى.

الفرع الخامس: التكرار في القصص القرآني

هل ثمة تكرار في القصص القرآني؟.

اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين:

1. النفي

2. الاثبات

ولعل من أقدم من تكلم عن التكرار في القصص القرآني:

1 ابن قتيبة رحمه الله 2 والسيوطي 3 والرمانى 4 وابن فارس

صور التكرار في القصص القرآني تنقسم الى قسمين:

القسم الأول:

أولاً: تكرار الحرف .

ثانياً: تكرار الكلمة.

ثالثاً: تكرار الجملة.

القسم الثاني: تكرار أحداث القصة. [الأنبياء أو الأحداث]

وهو المقصود في موضوع القصص القرآني

الحكمة من تكرار القصص القرآني:

يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذي تكرر في غير موضع ، فالقصة الواحدة قد يتعدد ذكرها في القرآن، ومن القصص القرآنية ما لا يأتي إلا مرة واحدة: مثل قصة لقمان وأصحاب الكهف ومنها ما يأتي متكرراً حسب ما تدعو إليه الحاجة وتقتضيه المصلحة ولا يكون هذا المتكرر على وجه واحد بل يختلف في الطول والقصر واللين والشدة وذكر بعض جوانب القصة في موضع دون آخر⁽⁷⁾ .

فقد ذكر الله موسى في مائة وعشرين موضعاً من القرآن العظيم، وذكر قصة نوح في خمس وعشرون آية، وقصة موسى في سبعين آية،

ومن حكمة هذا:

- 1- بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها . فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة ، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر ، وتصاغ في قالب غير القالب ، ولا يمل الإنسان من تكرارها ، بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى .
- 2- قوة الإعجاز ، فإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التحدي . قال الباقلاني : «وأعيد كثير من القصص (القرآني) في مواضع مختلفة، ونبّهوا- أي العرب- بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله، مبتدأ، ومكرراً» .
- 3- الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس ، فإن التكرار من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام . كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون ، لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل أتم تمثيل .
- 4- اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة ، فتذكر بعض معانيها الوافية بالعرض في مقام ، وتبرز معان أخرى في سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات الأحوال⁽⁸⁾ .
- 5- مراعاة الزمن وحال المخاطبين بها ولهذا تجد الإيجاز والشدة غالباً فيما أتى من القصص في السور المكية والعكس فيما أتى في السور المدنية .
- 6- ظهور صدق القرآن وأنه من عند الله حيث تأتي هذه القصص متنوعة بدون تناقض⁽⁹⁾ .

(7) انظر أصول في التفسير للشيخ محمد بن صالح العثيمين (54-55).

(8) مباحث في علوم القرآن للقطن (318-319).

(9) أصول في التفسير للعثيمين (54-55).

7- زيادة العبرة والموعظة ولتذكير المؤمن دائماً بعاقبة المكذبين من الأمم السابقة ، ليبقى في حالة يقظة وخشية مستمرة وخوف من عذاب الله تعالى. ومن جهة ثانية ليبقى في حالة سرور وتفاؤل برحمة الله ووعده وأنه ينجي عباده المؤمنين.

8- استكمال جوانب القصة، فتذكر القصة مختصرة جداً أحياناً وأحياناً مطوّلة، وأحياناً تُذكر أحداث جديدة في كل مرة. إذن هنا القصة لا تتكرر إنما تتكامل.

9- إن تكرار القصة في مواضع محددة من آيات القرآن يضيف على أسلوب القرآن جمالية وروعة وبياناً لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثله. وبالرغم من تكرار القصة عبر سور القرآن الذي استمر نزوله فترة 23 عاماً، لا نجد أبداً أي تناقض أو نقص أو خلاف، إذن نحن هنا أمام معجزة لغوية وبيانية تشهد على أن القرآن كتاب الله تعالى.

9- أن التكرار إنما يكون بسبب تعدد الغرض الديني الذي يترتب على القصة الواحدة.

والحمد لله رب العالمين.

قواعد الترجيح عند المفسرين .

أ- تعريفات أساسية:

1- **التفسير**: هو في اللغة تفعيل من الفسر بمعنى الإبانة وكشف المراد من اللفظ المشكل

وإيضاحه.

وفي الاصطلاح اختلفت عبارات أهل العلم فيه، فعرفه أبو حيان بأنه "علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب وتتمت ذلك"⁽¹⁰⁾.

وعرفه الزركشي بأنه "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه"⁽¹¹⁾، فعلى هذا يكون استمداد علم التفسير من علم اللغة والنحو والتصريف والبيان واصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

2- **المفسر**: وهو من له أهلية تامة يعرف بها مراد الله تعالى بكلامه المتعبد بتلاوته قدر الطاقة، وراض نفسه على مناهج المفسرين مع معرفته جملا كثيرة من تفسيرات كتاب الله ومارس التفسير عمليا بتعليم أو تأليف.

3- **التعارض**: هو في اللغة المقابلة، وفي اصطلاح الفقهاء والأصوليين: تقابل الحجتين المتساويتين في القوة على وجه يوجب كل منهما ضد ما توجهه الأخرى في محل واحد ووقت واحد⁽¹²⁾.

أما مفهوم التعارض في هذا البحث فأوسع، لأن موضوع التعارض عند الأصوليين هو الأدلة العقلية والشرعية أما هنا فهو الأقوال المختلفة في التفسير فالأصل فيها هو خلاف التضاد.

4- **الترجيح**: هو في اللغة يدل على الرزانة والزيادة، وفي اصطلاح الأصوليين: تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى لدليل⁽¹³⁾، وفي موضوعنا هذا: تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل أو قاعدة تقوية أو لتضعيف أو رد ما سواه.

(10) البحر المحيط 26 / 1

(11) البرهان 13 / 1

(12) التيسير في قواعد التفسير 228

(13) شرح الكوكب المنير 6 / 4

5- القاعدة: هي في اللغة: الأساس، وفي الاصطلاح عرفت بتعاريف كثيرة منها: حكم أغلبي

ينطبق على معظم جزئياته⁽¹⁴⁾.

6- قواعد الترجيح: هي ضوابط وأمور أغلبية يتوصل بها إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة

في تفسير كتاب الله تعالى.

وموضوع هذه القواعد أقوال المفسرين المختلفة في تفسير كتاب الله تعالى.

وغاية العلم بها: معرفة أصح الأقوال وأولها بالقبول في تفسير كتاب الله ومن ثم العمل به اعتقاداً

إن كانت من آيات العقيدة وعملاً بالجوارح إن كانت من آيات الأحكام العملية، وسلوكاً إن كانت من

الأخلاق والآداب وتصفية كتب التفسير مما قد علق ببعضها من أقوال شاذة أو ضعيفة أو مدسوسة.

واستمدادها من: أصول الدين، ولغة العرب، وأصول الفقه، والقواعد الفقهية، وعلوم الحديث،

وعلوم القرآن، واستقراء ترجيحات أئمة التفسير.

القواعد التي تكلم عنها:

الفصل الأول: قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني

الفصل الثاني: قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة والآثار والقرائن

الفصل الثالث: قواعد الترجيح المتعلقة بلغة العرب

الفصل الأول: قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني:

قاعدة: لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها أو انتفى حكمها

من كل وجه.

المبحث الأول: قواعد الترجيح المتعلقة بالقراءات ورسم المصحف

القاعدة الأولى: القراءة الثابتة لا ترد وهي كآية مستقلة

القاعدة الثانية: اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه

القاعدة الثالثة: معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى الشاذة

القاعدة الرابعة: التفسير والإعراب الموافق لرسم المصحف أولى من المخالف له

المبحث الثاني: قواعد الترجيح المتعلقة بالسياق القرآني

القاعدة الأولى: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل

القاعدة الثانية: لا يُعدل عن ظاهر القرآن إلا بدليل

القاعدة الثالثة: تحمل معاني القرآن على أسلوبه ومعهود استعماله

الفصل الثاني: قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة والآثار والقرائن

المبحث الأول: قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة النبوية

القاعدة الأولى: إذا ثبت الحديث وكان نصا في الآية فلا يصار إلى غيره

القاعدة الثانية: إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه

القاعدة الثالثة: كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو الإجماع فهو رد

القاعدة الرابعة: لا تحمل الآيات على تفصيلات لغيبات لا دليل عليها

المبحث الثاني: قواعد الترجيح المتعلقة بالآثار

القاعدة الأولى: سبب النزول الصحيح الصريح مرجح لما وافقه

القاعدة الثانية: تاريخ نزول الآية الثابت مرجح

القاعدة الثالثة: فهم السلف حجة على من بعدهم

القاعدة الرابعة: تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ

المبحث الثالث: قواعد الترجيح المتعلقة بالقرائن

القاعدة الأولى: قرائن السياق مرجحة

القاعدة الثانية: ما تأيد بقرآن مقدم على ما عدم ذلك

القاعدة الثالثة: القول الذي يعظم مقام النبوة أولى من غيره

الفصل الثالث: قواعد الترجيح المتعلقة بلغة العرب

المبحث الأول: قواعد الترجيح المتعلقة باستعمال العرب للألفاظ والمباني

القاعدة الأولى: كل تفسير ليس مأخوذا من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد

القاعدة الثانية: ليس كل ما ثبت في اللغة صح حمل القرآن عليه

القاعدة الثالثة: يحمل كلام الله على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر

القاعدة الرابعة: الأصل في النص الحقيقة

القاعدة الخامسة: الحقيقة الشرعية مقدمة على الحقيقة اللغوية

القاعدة السادسة: الحقيقة العرفية مقدمة على اللغوية.

القاعدة السابعة: القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار

القاعدة الثامنة: القول بالترتيب مقدم على القول بالتقديم والتأخير
القاعدة التاسعة: لا تحمل الآية على القلب ولها بدونه وجه صحيح
القاعدة العاشرة: التأسيس أولى من التأكيد.
القاعدة الحادية عشرة: التباين أولى من الترادف
القاعدة الثانية عشرة: التأصيل أولى من الزيادة
القاعدة الثالثة عشرة: الأفراد أولى من الإشراك
القاعدة الرابعة عشرة: تصريف الكلمة واشتقاقها مرجح

المبحث الثاني: قواعد الترجيح المتعلقة بمرجع الضمير

القاعدة الأولى: لا يحمل الضمير على الشأن إذا أمكن غيره
القاعدة الثانية: إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته على مقدر
القاعدة الثالثة: إعادة الضمير على المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره
القاعدة الرابعة: توحيد مرجع الضمائر في الساق الواحد أولى من تفريقها.
القاعدة الخامسة: الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه

المبحث الثالث: قواعد الترجيح المتعلقة بالإعراب

القاعدة الأولى: يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق والموافقة لأدلة الشرع
القاعدة الثانية: يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة دون الضعيفة والشاذة
والغريبة

ملاحظة:

1. هذا الدرس مختصر من مختصر للدكتور: حسين بن علي الحربي، وهو: مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين .
2. القصد من ذكر هذه القواعد الاطلاع على جملة القواعد التي توظف في الترجيح عند المفسرين وليس القصد حفظها.
3. كل قاعدة تحتاج إلى شرح وبسط وتمثيل ، وهذا موجود في الكتاب الأصل قواعد الترجيح عند المفسرين

والحمد لله رب العالمين.

علم الوجوه و النظائر في القرآن الكريم .

أولاً: تعريف الوجوه والنظائر:

أ- الوجوه لغة:

قال ابن دريد: «وجه الكلام: السبيل التي تقصدها به، وصرفت الشيء عن وجهه أي عن سننه. وكساء موجّه: له وجهان، ويجمع وجه على أوجه ووجوه وأجوه»⁽¹⁵⁾، وقال ابن فارس: «وجه: الواو والجيم والهاء: أصل واحد يدل على مقابلة لشيء، والوجه مستقبل لكل شيء. يقال: وجه الرجل وغيره. وربما عبر عن الذات بالوجه. وتقول: وجهي إليك، وتقول: واجهت فلاناً أو اجهه إذا جعلت وجهك تلقاء وجهه». (16)

ب- والنظائر:

«جمع نظير، وهو المماثل والشبيه، يقال: فلان نظير فلان إذا كان مثله وشبيهه والجمع نظراء»⁽¹⁷⁾، وقال الزبيدي: «الأفاضل والأمثال لاشتباه بعضهم ببعض في الأخلاق والأفعال والأقوال». (18)

ج- الوجوه والنظائر اصطلاحاً:

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: «واعلم أن معنى الوجوه والنظائر: أن تكون الكلمة الواحدة قد ذكرت في مواضع من القرآن الكريم على لفظ واحد وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى للكلمة غير معناها في المكان الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنى يناسبها غير معنى الكلمة الأخرى، هذا ما يسمى ((الوجوه))، أما النظائر: ((فهو اسم للألفاظ، وعلى هذا تكون الوجوه اسماً للمعاني، ومن هنا كان الأصل في وضع كتب الوجوه والنظائر))». (19)

⁽¹⁵⁾ جمهرة اللغة (64/6).

⁽¹⁶⁾ معجم مقاييس اللغة (6/88).

⁽¹⁷⁾ جمهرة اللغة: ابن دريد (2/379).

⁽¹⁸⁾ تاج العروس (14/249).

⁽¹⁹⁾ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن، ص: 2.

يقول حاجي خليفة في كشف الظنون "... : ومعناه أن تكون الكلمة واحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد وحركة واحدة، وأريد بها في كل مكان معنى غير الآخر ، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر هو النظائر ، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه ، فإذا النظائر اسم للألفاظ، والوجوه اسم للمعاني " وكل هذا لنوع واحد من المفردة القرآنية

قال مساعد الطيار: «الوجوه: المعاني المختلفة للفظ القرآن، والنظائر: الآيات الواردة في الوجه الواحد». (20)

وقال صالح العصيمي: «الألفاظ القرآنية المتحدة لفظاً أو أصلاً والمختلفة معنى». (21)

مثال توضيحي:

قال مقاتل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «تفسير ﴿أَرْسَهَا﴾ على وجهين: الوجه الأول: أرساها يعني أثبتها، وذلك قوله في والنَّازِعَاتِ: ﴿وَالْجِبَالِ أَرْسَهَا﴾ [النَّازِعَاتِ: ٣٢] يعني أثبت بها الأرضين لثلاً تزول بمن عليها، كقوله: ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ [سبأ: ١٣] يعني ثابتات، كقوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ﴾ [الحجر: ١٩] يعني الجبال لتثبت الأرضين.

الوجه الثاني: مُرساها يعني حينها، فذلك قوله في سورة الأعراف: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧] يعني متى حينها؟ نظيرها في النَّازِعَاتِ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النَّازِعَاتِ: ٤٢] يعني متى حينها؟». (22)

فقد جعل الأوجه: المعاني المتعددة للفظ الإرساء، وجعل النظائر: المواطن التي تكرر فيها المعنى. ومن الأمثلة أيضاً: لفظة الروح قيل لها خمسة وجوه، ولفظة الهدى وذكروا لها سبعة عشر اوجهاً، ولفظة الصلاة تأتي على تسعة معاني ، وغيرها من الألفاظ.

ثانياً: أهمية علم الوجوه والنظائر:

(20) أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم، ص: 121، دار ابن حزم، ط: 2: 1423 هـ.

(21) دروس التفسير، ص: 11.

(22) الوجوه والنظائر، ص: 213.

- 1- بيان سعة لغة العرب ، إذ لهم القدرة على على التعبير على المعنى الواحد بألفاظ متعددة.
- 2- بيان وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم ، الذي وردت فيه اللفظة الواحدة دالة على معاني متعددة بأدق معنى ، فأعجز العرب في فصاحتهم وبيانهم ، وتقاصرت بلاغتهم دون بلاغته.
- 3- حصر المعاني المتعددة للفظ القرآنية الواحد ، والتي تصيرا وجوها للفظ الواحد.
- 4- نوع من أنواع علوم القرآن التي يحتاج المفسر في تفسيره.
- 5- كتب الوجوه والنظائر من مصادر تفسير القرآن الكريم.
- 6- يعين على معرفة تغير معنى اللفظ رغم كونه واحدا.
- 7- التفريق بين كليات التفسير والوجوه والنظائر؛ لأن اللفظ في كليات التفسير يطرده معناه ، ولا يتغير.
- 8- التفريق بين معاني اللفظ الواحد حين يرد في القرآن أكثر من مرة ولأكثر من معنى.

ثالثا: أسماء علم الوجوه والنظائر:

أطلق العلماء على علم الوجوه والنظائر تسميات عدة، ومنها:

1. الوجوه والنظائر / مقاتل بن سليمان (ت 150) في كتابه: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم) وقد قيل إنه أول كتاب وصل إلينا في هذا العلم ، وألف فيه هارون بن موسى الأعمور (ت 170هـ) كتابه (الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، وفي القرن الخامس ألف الحسين الدمغاني (ت 478هـ) كتابه (الوجوه والنظائر في القرآن الكريم) وفي القرن السادس ألف ابن الجوزي (ت 597هـ) كتاباً أطلق عليه اسم : (نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم)
2. التصارييف / (ويحيى بن سلام (ت 200هـ) كتابه : (التصارييف)
3. الأشباه والنظائر وألف أبو منصور الثعالبي (ت 429هـ) كتاباً أسماه: (الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها)
4. الوجوه والأشباه والنظائر وفي القرن التاسع ألف أبو العماد المصري (ت 887هـ) كتابه : (كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر)
5. وجوه القرآن ، وفي القرن السابع ألف أبو العباس أحمد بن علي المقرئ (ت 658هـ) كتابه (وجوه القرآن)

6. ما اتفق لفظه واختلف معناه / ، وألف محمد بن يزيد أبو عباس المبرد (ت 286 هـ) كتابه : ((ما

اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد)

7. نظائر القرآن / وفي القرن الثالث ألف الحكيم الترمذي (ت 255 هـ) كتابه : (تحصيل نظائر القرآن

8. مشترك القرآن. وفي القرن العاشر جاء الإمام السيوطي فألف فيه كتابه : (معترك الأقران في مشترك

القرآن) وهو مطبوع بعنوان : (معترك الأقران في إعجاز القرآن).

رابعاً: أهم المؤلفات في علم الوجوه والنظائر:

* "الأشباه والنظائر في القرآن الكريم" لمقاتل بن سليمان ت 150 هـ (وتشمل 185 كلمة، وحوالي 757

وجهاً). قام بتحقيقه: الدكتور عبد الله محمود شحاته. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، سنة

1395 هـ.

* "ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد" للمبرد، نشرت من طرف الأستاذ الميمني بالمطبعة

السلفية سنة 1350 هـ، وهي متعلقة بالوجوه والنظائر العربية، وذكرت هنا لوجود بعض الكلمات

القليلة المتعلقة بالقرآن الكريم.

* "التصارييف: تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه" لابن سلام (115 كلمة وحوالي

669 وجهاً).

* "إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم" للحسين الدامغاني ت 447 هـ (حوالي 502 كلمة

وحوالي 2350 وجهاً). حققه عبد العزيز سيد الأهدل ، وأسماه قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه

والنظائر ، وهو تعقيب على الكتب التي سبقته ، طبعته دار الملايين في بيروت عام 1985 م.

* "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن" لابن الجوزي ت 597 هـ (حوالي 323 كلمة

وحوالي 797 وجهاً). حققه غير واحد ، وطبعته مؤسسة الرسالة ببيروت سنة 1404 هـ.

* "منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم" لابن الجوزي، وهو اختصار لكتابه

الأول، حققه محمد سيد طنطاوي ، وفؤاد عبد المنعم أحمد ، وطبعته مطبعة الجيزة بالإسكندرية.

* "كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر" لابن العماد، ت 887 هـ (111 كلمة وحوالي

600 وجه). حققه الدكتور: فؤاد عبد المنعم أحمد، وقامت بطباعته مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية.

مصادر علم الوجوه والنظائر:

1. **كتب التفسير** : فإن بعض المفسرين له اهتمام ببيان الكلمة ووجوهها في تفسيره ، وإن لم يلتزم بذلك ، قال ابن عادل في تفسيره اللباب في علوم الكتاب : فصل في معاني كلمة (أمة) ، قد جاءت الأمة على خمسة أوجه ثم ذكرها بأدلتها
2. **كتب غريب القرآن** : إذ بينها وبين كتب الوجوه والنظائر ترابط وثيق ، ومن أبرزها كتاب الراغب الأصفهاني : المفردات ، فإنه قد ذكر في حرف الألف كل الكلمات الواردة في الألف من كتاب : الدمغاني ما عدا خمس كلمات
3. **كتب علوم القرآن** التي تكلمت عن الوجوه والنظائر ، من حيث تعريف هذا المصطلح وأهم مؤلفاته ، وذكر نماذج للوجوه والنظائر . ومن أهمها كتاب : البرهان في علوم القرآن للزركشي ، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي
4. **المؤلفات المفردة في علم الوجوه والنظائر** وهي كثيرة جداً ، بدأت منذ عصر التدوين إلى عصرنا هذا
5. **كتب المعاجم القرآنية** : التي اهتمت بالمعاني ، والتي ظهرت في العصر الحديث ، مثل معجم ألفاظ القرآن ، لمجمع اللغة العربية ، والمعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم ، لمحمد بسام .

والحمد لله رب العالمين.

علم غريب القرآن الكريم.

تمهيد:

قال أبو حيان الأندلسي رَحِمَهُ اللهُ: «لغات القرآن العزيز على قسمين: قسم يكاد يشترك في فهم معناه عامة المستعربة وخاصتهم، كمدلول السماء والأرض، وفوق وتحت، وقسم يختص بمعرفته من له اطلاع وتبحر في اللغة العربية، وهو الذي صنف أكثر الناس فيه وسموه: غريب القرآن». (23)

ومن المعلوم أن عرب الجزيرة لم يكونوا متساوين في فهم ألفاظ القرآن الكريم الذي نزل بلغتهم؛ لتعدد لهجاتهم وتباعد قبائلهم، كما أوماً إلى ذلك ابن قتيبة (ت 276 هـ) فقال: «إن العرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن الكريم من الغريب والمتشابه بل لبعضها الفضل في ذلك على بعض، والدليل عليه قول الله عز وجل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: 7]...، ويقول الزجاجي (ت 377 هـ): «ليس كل العرب يعرفون اللغة كلها، غريبها وواضحها، ومستعملها وشاذها، بل هم في ذلك طبقات يتفاوتون فيها، كما أنهم ليس كلهم يقول الشعر، ويعرف الأنساب كلها، وإنما هو في بعض دون بعض». (24)

أولاً: تعريف (غريب القرآن) لغة واصطلاحاً .

أ- الغريب لغة:

« الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم ، كالغريب من الناس ، إنما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل ، ومنه قولك للرجل إذا نَحَيْتُهُ وَأَقْصَيْتُهُ : اغرَبْ عَنِّي : أي ابعُدْ ، ومن هذا قولهم : نَوَى غُرْبَةً : أي بعيدةً ، وَشَأُوْ مُغْرَبٌ ، وَعَنْقَاءُ مُغْرَبٌ : أي جائيةٌ من بُعْدٍ . وكلُّ هذا مأخوذٌ بَعْضُهُ من بَعْضٍ ، وإنما يختلفُ في المصادرِ ، فيقال : غرب الرجل يَغْرُبُ غَرْبًا إذا تَنَحَّى وذهب ، وَغُرِبَ غُرْبَةً إذا انقطع عن أهله ، وَغُرِبَتِ الكَلِمَةُ غَرَابَةً ، وَغُرِبَتِ الشَّمْسُ غُرْبًا .» (25)

ب- الغريب القرآني اصطلاحاً:

«فهو الألفاظ القرآنية، التي يُبْهَمُ معناها على القارئ، والمفسر وتحتاج إلى توضيح معانيها، بما جاء في لغة

(23) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، ص: 40.

(24) غريب القرآن، ص: 15.

(25) غريب الحديث: الخطابي (1 / 70).

العرب، وكلامهم».(26)

وقال صالح العصيمي: « هي الألفاظ التي تخفى معانيها لقلّة استعمالها».(27)

وقد أوضح مصطفى صادق الرافعي المقصود بالغريب حيث قال: « وفي القرآن ألفاظ اصطلاح العلماء على تسميتها بالغرائب، وليس المراد بغرابتها أنها منكّرة أو نادرة أو شاذة فإن القرآن منزّه عن هذا جميعه وإنما اللفظة الغريبة هاهنا هي التي تكون حسنة مستغربة في التأويل بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس».(28)

ثانياً: سبب التسمية هذا النوع بالغريب:

ترجع أسباب هذه التسمية إلى:

1- إن ألفاظ العربية - بعد اجتماع العربية في لغة قريش - لم تحمل الدلالة الواحدة عند القبائل المختلفة، فقد تحمل لفظة معنى في قبيلة، ومعنى مخالف في أخرى، كمثّل مادة " قرء " قال المبرد: « أهل الحجاز يرون " الإقراء " الطهر، وأهل العراق يرونها الحيض، وأهل المدينة يجعلون عدّد النساء الأطهار، ولهذا اعتور العربية الإغراب والكل، نتيجة اجتماع القبائل، فلفظةٌ تتداول على لسان قوم، تعتبر غريبة لدى قوم آخرين، وقد ألمح ابن فارس إلى ذلك، فقال: « كل هذه اللغات مسماة منسوبة وهي وإن كان لقوم دون قوم فإنها لما انتشرت تعاورها كلّ ».(29)

2- إن العرب - في أحيان كثيرة - لا يفهمون كلام بعضهم بعضاً، وبخاصة عندما تتكلم كل قبيلة لغتها الخاصة بها؛ لأن كل لغة تختلف عن غيرها من لغات القبائل بأمور، قال ابن فارس « العرب يختلف أحوالها في تلقي الواحد منهم لغة غيره فمنهم من يخف ويسرع قبول ما يسمعه، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتة، ومنهم من إذا طال تكرر لغة غيره لصقت به ووجدت في كلامه».(30)

ثالثاً: قصد المؤلفين في كتب غريب القرآن:

(26) معجم مصنفات القرآن الكريم: على شواخ: (3/ 291) دار الرفاعي بالرياض: 1404 هـ / 1984 م

(27) دروس التفسير، ص: 9.

(28) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 53. دار الكتاب العربي - بيروت - ط 8، 1425 هـ - 2005 م.

(29) الصاحبى، ص: 22.

(30) المزهري: السيوطي (1/ 256)

إن المؤلفين في الغريب قصدوا من مادة "غريب" شرح المواد اللغوية في الموضوع المخصص، ولم تكن وجهتهم استخراج غريب اللغة المرعى في الاصطلاح اللغوي عند أهل الصرف والبلاغة. فالملاحظ أن معنى الغريب الظاهر للدارس من خلال أسماء كتب الغريب هو: شرح أو تفسير ألفاظ القرآن، ففي هذا الاسم انسجام بين الاسم والمسمى، لأن محتويات مؤلفات "غريب" ليست من الغامض النافر، بل مما عرفه العربي واستعمله ووعاه، فالغريب عندهم يقابله المشهور، وهما أمران نسيان، فربّ لفظ يكون غريباً عند شخص، مشهور عند آخر.

فأصحاب مصنفات "الغريب" قصدوا تفسير الألفاظ حقيقة لا البحث عن الغريب في عرف البلاغين كما توحى التسمية، يقوي ذلك اعتراف أصحاب المصنفات أنفسهم في حقيقة عملهم، قال الراغب الأصفهاني في مقدمة غريبه، يوضح خطته ويصور منهجه: « وذكرت أن أول ما يحتاج أن يُشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المُعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللبّ في كونه من أوائل المُعاون في بناء ما يريد أن يبينه... وقد استخرت الله تعالى في إملاء كتاب مستوفٍ فيه مفردات ألفاظ القرآن على حروف التهجي، فنقدم ما أوله الألف ثم الباء...» (31)

وقال السيوطي: « قلت وأولى ما يرجع إليه في ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة». (32)

رابعاً: المؤلفات في غريب القرآن:

يعود التأليف في معاني القرآن وغريبه إلى مرحلة مبكرة من تاريخ الإسلام، وقد أُلّف كثير من العلماء في "غريب القرآن" وحملت تأليفهم أسماء كثيرة أشهرها ثلاثة، هي "غريب القرآن" و"معاني القرآن" و"مجاز القرآن" وهي أسماء بدت مترادفة أو كالمترادفة في عرف المتقدمين. (33)

وسأقتصر هنا على ما سمّي بـ(غريب القرآن) ومنها:

1- ما روي عن ابن عباس في ما يسمى بإجاباته عن المسائل التي سأله عنها نافع بن الأزرق، وكان

(31) مفردات غريب القرآن، ص: 45.

(32) الإتيان (1/ 286)

(33) لغة القرآن دراسة توثيقية فنية: أحمد مختار عمر، ص: 104، مؤسسة الكويت، ط 2: 14018 هـ.

- يستشهد على تلك المعاني بأبيات من الشعر ، كذلك ما روي عن ابن عباس من رواية علي بن أبي طلحة
- 2- غريب القرآن: لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة (276هـ).
- 3- نزهة القلوب في تفسير علام الغيوب : أبو بكر محمد بن عزيز بن أحمد السجستاني ت330هـ
- 4- العمدة في غريب القرآن: وقد نُسب إلى مكّي ابن أبي طالب القيسي (ت 437هـ) .
- 5- المفردات في غريب القرآن :الراغب الأصفهاني (ت 502هـ)
- 6- البيان في غريب القرآن :أبو البركات ابن الأنباري ت (577هـ).
- 7- تذكرة الأريب في تفسير الغريب : لأبي عبد الرحمن أبي الفرج ابن الجوزي (ت 597هـ).
- 8- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب :محمد بن يوسف بن علي المعروف بأبي حيان الأندلسي (ت 745هـ)
- 9- معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخاري: محمد فؤاد عبد الباقي المطبوع عام 1369 هـ، وهو شرح لما ورد عن ابن عباس من صحيفة علي بن أبي طلحة مرتبة ألفبائيا بحسب المواد مع ذكر الآية الكريمة ورقمها واسم السورة ورقمها ، وشرح اللفظة الغريبة في الحاشية ، وقد ألحق بها المؤلف مسائل نافع بن الأزرق..
- 10- الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم :عبد العزيز عز الدين السيروان الذي نشر عام 1986 م . اختار الألفاظ الغريبة معتمدا على كتب ابن قتيبة ومكي بن أبي طالب وأبي حيان ومعجم محمد فؤاد عبد الباقي ورتبه - ألفبائيا - بحسب الأصول.
- 11- المفتاح النوراني على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن : للشيخ محمد باي بلعالم . وهو شرح لنظم في غريب القرآن للشيخ محمد الطاهر التليلي الجزائري . فرغ من تأليفه عام 1417 هـ

خامسا: أهمية معرفة غريب القرآن:

- 1- من أهم مباحث علوم القرآن ذات الصلة الوثيقة بالتفسير، قال الراغب: «أن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللبّن في كونه من

أول المعاون في بناء ما يريد أن يبينه، وليس ذلك نافعاً في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع»⁽³⁴⁾، وقال مجاهد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب»⁽³⁵⁾، وقال مالك ابن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لا أوتي برجل يفسر كلام الله وهو لا يعرف لغة العرب، إلا جعلته نكالا»⁽³⁶⁾.

2- أول باب من أبواب تدبر القرآن الكريم، قال الفراهي: «لا يخفى أن المعرفة بالألفاظ المفردة هي الخطوة الأولى في فهم الكلام. وبعض الجهل بالجزء يفضي إلى زيادة جهل بالمجموع. وإنما يسلم المرء عن الخطأ إذا سدّ جميع أبوابه، فمن لم يتبين معنى الألفاظ المفردة من القرآن، أغلق عليه باب التدبر و أشكل عليه فهم الجملة، وخفي عنه نظم الآيات والسورة... ثم سوء فهم الكلمة ليس بأمر هين، فإنه يتجاوز إلى إساءة فهم الكلام وكل ما يدل عليه من العلوم والحكم، فإن أجزاء الكلام يبين بعضها بعضاً للزوم التوافق بينها»⁽³⁷⁾.

3- من أهم أدوات المفسر؛ لأنها من أوائل المعاين، لمن يريد أن يدرك معانيه، فألفاظ القرآن: هي لبُّ كلام العرب، وزُبدته، وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء، والحكام في أحكامهم، وحكمهم، وإليها مفرع حُذاق الشعر، والبلغاء، في نظمهم وشعرهم، وما عداها - وعدا الألفاظ المتفرعات عنها، والمشتقات منها كالقشور والنوى، بالإضافة إلى أطياب الثمرة، وكالحثالة والتبن، بالإضافة إلى لبوب الحنطة!⁽³⁸⁾

4- احتمال فهم لغات القرآن الكريم، لأن لغات العرب قسيان، كما قال أبو حيان: «لغات القرآن العزيز على قسمين: قسم يكاد يشترك في فهم معناه عامّة المستعربة وخاصتهم، كمدلول السماء والأرض، وفوق وتحت، وقسم يختص بمعرفته من له اطلاع وتبحّر في اللغة العربية، وهو الذي صنّف أكثر الناس فيه وسموه: غريب القرآن»⁽³⁹⁾.

⁽³⁴⁾ مفردات غريب القرآن، ص: 45.

⁽³⁵⁾ البرهان في علوم القرآن: الزركشي (1 / 292).

⁽³⁶⁾ المصدر نفسه (1/ 292)

⁽³⁷⁾ مفردات القرآن، ص: 95.

⁽³⁸⁾ ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهاني: ص 55.

⁽³⁹⁾ تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، ص: 40.

سادسا: سبب تفاوت كتب الغريب :

تفاوتت نظرة علماء اللغة والمفسرين إلى الغريب؛ لذلك لم تتفق كتب الغريب فيما أوردته من ألفاظ بين مقل ومكثر، وذلك لأسباب:

- 1- الغريب نسبي، وهذا ما يتفق مع ما قاله ابن الهائم: «لا شك أن الغريب يقابله المشهور، وهما أمران نسيان، فربّ لفظ يكون غريباً عند شخص، مشهوراً عند آخر». (40)
- 2- بعد الناس عن زمان النبوة وأهل اللغة، ودخول العجمة .
- 3- لأن هذا العلم أخذ يتطور لحاجة الناس له، وقد ظهر ذلك واضحاً، في الكتب الأوائل، التي ألفت في الغريب، حيث كان صغر حجمها، وقلة موادها، ويتجلى ذلك: في وصف حاجي خليفة لكتاب أبي عبيدة في الغريب، حيث أخبر: أنه جمع كتاباً صغيراً، ثم استدرك قائلاً: «ولم تكن قلته لجهله بغيره، وإنما ذلك لأمرين: أحدهما: أن كل مبتدئ بشيء لم يسبق إليه يكون قليلاً ثم يكثر، والآخر: أن الناس كان فيهم - يومئذ - بقية، وعندهم معرفة، فلم يكن الجهل قد عمّ». (41)

والحمد لله رب العالمين.

(40) التبيان في غريب القرآن: ص 485 .

(41) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - لحاجي خليفة (2/ 1203) - نشر دار الفكر: 1402هـ - 1982م .